المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٢/٥/٩

د . محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

ماذا قال « جنرالات المقاهى » بعد أن تحقق نصر أكتوبر ١٩٧٣ ؟

د . أسامة الباز : استفدنا من تجربتى ٥٦ و ٦٧ فى تحديد حجم قواتنا بسيناء

هكذا رفض السادات أن يكون « عنترة بن شداد » أو « أبو زيد الهلالى »

٤ مليارات من الدولارات لمصر نظير خروجها من كامب ديفيد

كامب ديفيد

بعد أن هدأت نيران الحرب على ضفاف القناة ، واستقرت القوات العسكرية لمصر واسرائيل فى اماكنها منذ ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، واحتلت اسرائيل الشاطىء الغربى من البحيرات حتى السويس وحاصرت الجيش الثالث ، وثبت الجيش المصرى فى مواقعه داخل سيناء .. ظهر فى مصر ملايين من جنرلات المقاهى ، الذين يظهرون عادة بعد الحروب ، مثل متفرجى كرة القدم ، ليقولوا كان يجب ان يكون الأمر كذا وكذا ... وكان يجب أن نتقدم للمرات .. وكان الأمر كله تمثيلية محبوكة ، صاغها هنرى كيسنجر مع السادات واسرائيل !!

وانا لا ادرى ، اى هدف يمكن ان يستهدفه المنتج والمخرج والممثلون من هذه التمثيلية ، وقد كان من الممكن أن يصلوا الى ما وصلوا اليه فى كامب ديفيد ، لو كانت هى الهدف المأمول !

ان الاسرائيليين انفسهم ، قد اصابهم الهلع والفزع من مفاجأة اكتوبر . وقد اثبتت لجنة (اجرانات) فى تحقيقاتها ، تقصيرا مذهلا فى الجانب الاسرائيلى وخداعا ماهرا فى الجانب المصرى !! ثم ان ساسة اسرائيل ، لايزالون نادمين على (تفريطهم) فى سيناء ، التى تركوها مقابل وعودا لا تعدو أن تكون بضع كلمات عن السلام !! لقد قال ذلك (مناحم بيجين) وغيره .. وقالوا ان السادات ضحك عليهم واخذ سيناء كلها !!

□ ولم يقف الامر عند هذا الحد ،بل ان عملية توزيع القوات المصرية حسب ملاحق كامب ديفيد ، تعرضت نفسها لهجوم مرير من خصوم السادات ، من المصريين والعرب . وقالوا إن ضآلة وضعف القوات على الحدود ، تعنى تقييدا للسيادة المصرية كما يتيح الفرصة لهجوم اسرائيلى أخر ..

وفى لقاءتى مع الدكتور اسامة الباز اثناء المفاوضات طرحت عليه هذه الشكوك ونحن فى مر كز الدراسات الوطنية بميدان روكسى . فقال لى ، ان المفاوضين المصريين لم يتخذوا قراراتهم بشأن الأوضاع العسكرية لقواتنا الا بعد الرجوع الى العسكريين ، وقد وافقوا على هذا التوزيع من منطلق المبادىء الآتية المستمدة من تجربتى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ :

أولا : أن حجم الخسائر الضخمة للعسكرية المصرية فى حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ كان سببه الاساسى ، حشد اغلب قوات الجيش فى صحراء سيناء وقد أعطى ذلك للاسرائيليين فرصة للانقضاض السريع على صيد ثمين يشكل نحو ٨٠ ٪ من القوات المسلحة المصرية . وكان القضاء السريع عليه كفيلا بهزيمة ساحقة وسريعة .

ثانيا : ان تقليل حجم القوات المصرية فى سيناء طبقا لكامب دافيد ، يعطى لمصر ميزة الاحتفاظ بأغلب قواتها داخل

الدلتا ، مما يشكل رصيدا هائلا فى اى حرب يمكن ان تنشب .. لأن القوات الصغيرة قادرة على مناوشات تستدرج بها قوات اسرائيل الى حتفها فى الشاطىء الغربى وليس فى صحراء مكشوفة .

ثالثا : ان تطور الانتاج الحربى جعل من الممكن الا تكون هناك أية قوات على الاطلاق فى سيناء ، اعتمادا على الصواريخ بعيدة المدى ، والتى يمكن ان تدمر اسرائيل فى القلب وهى داخل الدلتا .

رابعا : انه عندما تتعارض مصلحة مصر مع مفهوم السيادة الهلامى ، فماذا نختار ! ؟ ان مصلحة مصر وامنها فوق اى اعتبار شخصى ثم ان مسألة السيادة هذه ، قد تغير مفهومها تماما . فلم تعد هناك سيادة مطلقة بلا قيود من قواعد القانون الدولى والعرف الدولى ، فألمانيا مستقلة واليابان مستقلة ، ولكنهما مقيدتان بعدم إحياء العسكرية بمقتضى اتفاقيات السلام بعد الحرب العالمية الثانية .

خامسا : ان جيلا مطالب بأن يتخذ ما يناسبه ، من اوضاع تتفق مع الظروف المحيطة . وللأجيال القادمة ان تتصرف كيفما تريد .. فالدنيا - بأوضاعها السياسية - متغيرة دائما .

لكن المأساة الحقيقية - كما اتصورها فى كامب دافيد ، كانت قد بدأت عند ترتيب أول اجتماع للأطراف المعنية فى

فندق مينا هاوس بالهرم !! كان المفروض ان يجتمع الفلسطينيون والسوريون والاسرائيليون والأمريكان والروس والأردنيون والمصريون . وبدأ العلم الفلسطينى يرفرف جنبا الى جنب مع العلم الاسرائيلى .. فى اعتراف واضح وصريح بوجود كيان فلسطينى تمثله منظمة التحرير ...

لكن الرياح جرت بمالا تشتهى السفن . فبدلا من ان يثير العلم الفلسطينى البهجة .. أثار العلم الاسرائيلى موجة من الحزن والرفض !! كان نصف الكوب فارغا .. ولم يقل عربى إن نصف الكوب كان ممتلأ ..

وفى حركة عربية عنترية ، تخلف الفلسطينيون والسوريون والأردنيون والروس ، ولم يحضر المؤتمر الا مصر واسرائيل وامريكا !! وكان المؤتمر على وشك الانهيار .. ونظر اعضاء الوفود الى بعضهم البعض ، وعيونهم تتساءل .. ماذا نفعل ! ؟

كان المطروح واحدا من حلين لا ثالث لهما :

■ رفض المؤتمر ، والغاء فكرة السلام وابقاء الحال على ما هو عليه !!

■ المضى فى المباحثات بين مصر واسرائيل برعاية امريكا !!

كانت الموازنة بين مصلحة مصر .. ومزاج العرب .. وليس مصلحتهم .. وكانت مثقلة بعبء الاحتلال ، وتدمير

مدن القنال بورسعيد والاسماعيلية والسويس ومرهقة بملايين المشردين من ابناء القنال .. ومهيضة الجناح بإغلاق القناة وانهيار الاقتصاد المصرى ..

ثم كان هناك شيء خفى وخطر .. الارادة المصرية !! هل يتم ربطها بالمزاج العربى الحاد .. أم ترتبط بالمصلحة المصرية ! ؟ من المضرور فى النهاية من ابقاء الوضع على ماهو عليه ! ؟

وهل ستكشف اسرائيل ـ كعادتها ـ عن خلق واقع ديموجرا فى فى الاراضى المحتلة ، بتعمير سيناء بمدن سكنية تخلق امرا واقعا يستحيل تغييره ! ؟

كانت هذه هى رؤية السادات . ذلك ان تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى كان فى صالح اسرائيل دائما .. وكان السبب الجوهرى ، وإن لم يذكره او يتذكره احد ، هو الرفض العربى المستمر لكل ما يعرض عليهم .. فالكل هو المطلوب ، والا فلا ... !! وهكذا رفض العرب قرار التقسيم ، فأكلت اسرائيل الكعكة وحدها .. ورفضوا العودة لحدود ٥ يونيو فقط فأكلت اسرائيل كل مناضد الطعام الممتدة من الجولان والضفة الغربية وسيناء .. ولا يزال العرب يرفعون لاءاتهم الشهيرة !! الى متى ! ؟ هكذا تساءل السادات بحق .. لكن السوريين والفلسطينيين وقتها اجابوا عن تساؤل السادات بالقول بانه الى ان يصبح العرب قادرين على استرداد أرضهم فسوف تعود كل الأرض !!

كانت أمامهم مقولة عبد الناصر .. ان ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة !! وهى مقوله تشابه تلك التى قالها مقاتلو على بن أبى طالب .. الحكم لله !! ورفعوا المصاحف على أسنة الرماح ، وقبلها على ، فانهزم وقتل !! وكانت قولة حق اريد بها باطل ..

□ ولم يدرك العرب - وبعضهم حتى الآن - ان مفهوم القوة نفسه قد تغير .. فليس السلاح هو اداة القوة الوحيدة .. ان (الحيلة) قوة .. والدبلوماسية قوة .. واحناء الراس لتفادى العاصفة قوة ..

ثم ان الذين قالوا ، قد تقتضيك الشجاعة ان تنحنى ساعة ، قالوا قولا حكيما وعظيما تثبته أحداث التاريخ دائما .. وليس نطح الصخور بالرؤس شجاعة !! انما هو بلاهة وسفاهة وقصر نظر .

والمدهش ان العرب لايجيدون قراءة التاريخ ولا الاحداث فاحداثهم كافية بوعظهم وارشادهم ، اما التاريخ ، وليكن تاريخ انشاء الدولة الاسرائيلية ذاتها .. فهو ملىء بالحيلة والدبلوماسية واحناء الراس للريح !! فلا هرتزل ولا حاييم وايزمان ، نطق باسم الدولة اليهودية ... بل كان كلاهما لايطلب الا وطنا قوميا يكون ملجئا لليهود فقط .. ثم منحهم العرب فرصة تلو فرصة فانتهزوها ..

وهكذا ، سفاهة عربية فى جانب ودهاء اسرائيلى فى جانب آخر !!

وكان السادات يهودى التفكير مسلم الديانة مصرى الوطنية عربى المصير .. رفض ان يكون (عنترة بن شداد) أو (ابو زيد الهلالى) .. لكن الاخوة الآخرين ، لايزالون يعيشون ملاحم الشعر العربى ، وحروب الفرسان والسيوف !!

كان هناك تنافر جوهرى ، بين (فكر) السادت ، و(فكر) الاخوة العرب ... لهذا اتسع التباعد بينهما سريعا ..

ولأنهم كانوا لايدركون طبيعته ، فقد ارسلوا الى مطار القاهرة بأربعة مليارات من الدولارات لدعم اقتصاد مصر ، نظير خروجها من كامب دافيد .. وفى سرعة البرق قلم السادات بترحيلهم على طائرتهم واعادتهم الى بغداد !!

□ كان لهذا التصرف مغزى عميقا .. فمن العسير على

السادات ، المصرى الفلاح .. ان يبيع ارادة مصر ، بأربعة مليارات من الدولارات ولا بأى مبلغ !! ولو فعلها فى ذلك اليوم وقبل العرض لاضمحلت قيمة مصر فى نظر اناس يتصورون انهم يشترون المصريين بأموالهم ! كان السادات وطنيا مصريا رائعا عظيما ..

لقد كان فى ذهنه ماحدث فى اغسطس ١٩٦٩ فى الخرطوم .. كان قمم العرب مجتمعين لمصالحة الملك فيصل بعبد الناصر .. واتخاذ قرارات جريئة ، منها لا ، لا ، لا (!!)

□ ثم ماذا لو كان الجميع قد حضروا مؤتمر (مينا هاوس) !! الم يكن هناك مجرد احتمال ، مهما صغر حجمه ، ان تجلوا اسرائيل عن كل الاراضى العربية أيامها مقابل معاهدة السلام ! ؟

ألم يكن تواجد الوفود العربية يمثل قوة ضاغطة متحده فى وجه الاسرائيليين .. الم يكن هناك احتمال لاحراج اسرائيل ، او

حتى احراج السادات نفسه فلا يستطيع توقيع اتفاق كامب دافيد !!

من بديهيات الدبلوماسية .. وزن القوة المتفاوضه !! وبطبيعة الحال فإن كفة الغرب هى الراجحة ولو وقفوا مع مصر .. لكنهم ولوا القرار ، وتركوا السادات وحده فى فم الاسد أملا فى ان يولى الفرار .. فاضعفوا قوة مصر .. وجعلوها تفاوض وظهرها مسنود الى حائط غرست فيه خناجر الرفض ، امام عدو يلوح برماح الاحتلال !!

هربوا وفروا واختفوا .. وصرخوا من بغداد عاصمة الرفض العربى بهتاف مزق سماء الوطن العربى وفى وجه السادات ..

اذهب أنت وربك فقاتلا .. فإنا هاهنا قاعدون !!

□ والذين يدرسون ماحدث ، يضربون كفا بكف !! فالسادات قدم للفلسطينيين (مشروعا) للحكم الذاتى ، لمدة خمس سنوات ينتهى الى مفاوضات تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. لكنهم رفضوه .. ومن حقهم ان يرفضوا أو ان يقبلوا لكنهم وصفوه بالخيانة !! ؟

أى خائن يكون ! ؟ اهو ذلك الذى ترك أرضه تحت نير الاحتلال ، بالقتل والتدمير من ١٩٧٩ تاريخ كامب دافيد حتى كتابة هذه السطور فى مايو ١٩٩٣ ، أم هو الذى كان سيحقق لهم ما يحاولون جاهدين ، ان يصلوا اليه الآن ! ؟ وأى خائن يكون ! ؟ اهو ذلك الذى يواجه عدوه بالسلاح بالبحر والجو والصحراء ، ويواجهه بالسلام على مائدة المفاوضات فيسترد كل أرضه دون استثناء شبر واحد .. ام ذلك الذى تغر من مواجهة العدو على مائدة المفاوضات يعرض الابرياء للقتل والتشريد والسجن ، فلا أرضا أخذ ولا احتلال قطع !!